رَوائِع تُراث الزَّيدِيّة

كتَاب التّوحِيد والتّناهِي والتَّحدِيد

الجزء الأول والثاني

للإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم العَياني

عليهما السّلام (ت ٤٠٤هـ)

مُنتزع من مَجمُوع كُتبه ورسائِله

تحقيق

إبراهيم يحيى الدّرسي

منشورات مركز أهل البيت (ع) للدراسات الإسلامية

كتاب التوحيد والتناهي والتحديد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله الواحد[1] الذي لا يوصف بالتعديد، العظيم الذي جل عن التحديد، العدل الذي تنزه عن ظلم العبيد.

أحمده حمد متوكل عليه، وأعتصم به اعتصام من أناب إليه، وكيف يوصف بالتعديد من أحصى كل شيء عدداً؛ بل كيف يوصف بالتبعيض واحداً، لما في التبعيض والتعديد من صفات التناهي والتحديد، وإذ لا بد لكل تعديد من معدد، ولكل تحديد من محدد، ولا بد لكل مفترق أو مجتمع من مفرّق وجامع، ومفتطر صانع، لما في الإفتراق والاجتماع من بيان الصنع والابتداع، والله سبحانه بخلاف خلقه المدبرين، ذوي الأماكن المصورين، إذ المصوَّر مضطر إلى مصوِّره، والمدبَّر محتاج إلى مدبِّره، والمقدَّر غير ممتنع من مقدِّره، لا ينفك من أماكنه ومواضعه، ولا يقدر على دفع إحاطة علم صانعه، فهو إلى محله مضطر مدفوع، وجهاته وأقطاره تدل على أنه مصنوع.

وكذلك ننفي عن الله سبحانه، وعز عن كل شأن شأنه، دَرَك الحواس والنفوس والأوهام، إذ لا يقع شيء منها إلا على جسم من الأجسام، في جهة من الجهات، أو على صفة من الصفات، فتبارك الله وتعالى عن الحس والتوجس، أو خاطر نفس من الأنفس، أو مشاكلة شيء من أوصاف الموصوفين، أو محادة جنس من أجناس المصنوعين، إذاً لدخل عليه ما يدخل على شكله، ولجاز عليه ما يجوز على مثله، من الصفات الملازمة للأجسام، المنفية عن ذي الجلال والإكرام.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه، صلى الله عليه وعلى أهل بيته وسلم.

باب الدلالة على معرفة الله سبحانه والرد على الملحدين، الكفرة الجاحدين

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -عليهما السلام-: إن سأل بعض

---

[1]- في (ب) ساقط.

الملحدين أو الشاكين، في جلال رب العالمين، أو قال بعض المتعنتين: فكيف نعبد من لا يُرى ولا يُدرك بحاسة من الحواس؟ وما الدليل الذي دلك عليه؟ وما الدواعي التي دعتك إليه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أيها السائل أن الدليل الذي دلنا على الله سيدنا ومولانا، والدواعي التي دعتنا إليه تبارك وتعالى، أنا وجدنا في الصنع آثار حكمة الصانع المتقن الحي العالم، وهو الله رب العالمين.

فإن قال: وما دلكم على بيان علم الصانع وحكمته؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: دلنا على بيان علم الصانع وحكمته، ما شاهدنا من جليل صنعه وفطرته، مما لو رمنا تعديده لما أحصيناه عدداً، ولا أدركنا له أمداً، لعجزنا عن إحصاء آياته، ولانحاز عن تصنيف دلالته.

من ذلك ما شاهدنا من جليل صنعه في الحيوانات، وما خلق سبحانه من الذكور والإناث، وأبان في ذلك من الجعل والإحداث، وما جعل بينهم من الأولاد الكثير، من نطف الماء الحقير، فعادوا كثيراً مذكوراً، بعد أن كانوا قليلاً محقوراً، وما شق لهم سبحانه من السمع والأبصار، والأفئدة للتمييز والأفكار، والاجتلاب للمنافع والنفور عن المضار.

وما خلق لنا سبحانه من الحواس الخمس، من العيان والسمع والذوق والشم واللمس، فجعل العيان لدرك الهيئات، وجعل السمع لدرك الأصوات، وجعل المشام لدرك الروائح المختلفات، وجعل الذوق لدرك المطعومات، وجعل اللمس لدرك أحوال المجسمات، فكان ما عوين من اتصال التدبير، واطراد الحكمة والتقدير، دلالة على أحكم الحاكمين، واضطرار إلى معرفة رب العالمين، ودليلاً مبيناً على فساد قول الملحدين، ممن قال بالطبائع من الكفرة الجاحدين، أهل الحيرة المتلددين، إذ صح عند أهل العقول أن هذه العلل

الموات، لا تقي[1] أنفسها فضلاً عن أن تقي تدبير غيرها، إذ لا يجعل الشيء للشيء إلا حكيم، ولا يصرف ويدبر إلا عليم، وسنزيد إن شاء الله بياناً، ونوضح له من ذلك هدىً وبرهاناً.

ألا ترى أنه لا يجعل العين إلا عالم بما جعل من النظر، فلا يجعل الأنثى إلا عالم بما جعل لها من الذكر، ولا يجعل العقول المميزة إلا عالم بما يحتاج إليه ذو الألباب، من الاجتلاب للمنافع والنفور عن المضار، ولا يجعل الأيدي والأرجل وغيرها من العروق والعصب والمفاصل إلا عالم بما سيكون من حركاتها، واجتلابها لمنافعها، ولا جعل المراضع في أجساد الإناث، إلا عالم بما سيكون من أولادها قبل الإحداث، وما علم من حاجتها إلى ما جعل لها من الأغذية قبل كونها، فجعل تقدمة غذاء الطفل بلطفه، لما علم من فاقته وضعفه، وألهمه الرضاع وجبره عليه، لما علم من حاجته إليه، ولولا هداية الله سبحانه للأطفال لهلكوا ودمروا.

ألا ترى إلى إظهار البهائم عند خروجها من بطون أمهاتها كيف تقصد مواضع أغذيتها ولذاتها، وما جعل الله سبحانه من قوام أرواحها وحياتها، ولا يجعل السمع إلا عالم بفاقة صاحبه إلى درك الأصوات، ولا يجعل الأبصار إلا عالم بفاقة أصحابها إلى الهيئات، ولا يجعل المعايش والأرزاق إلا عالم بفاقة من جعلت له من الحيوانات، ولا يجعل في الجسد مداخل للأغذية ومخارج قبل كون ذلك إلا عالم بفاقة الإنسان إلى مداخل ذلك ومخارجه، إذ لا قوام له ولا ثبات للتدبير، إلا بما قدر الله سبحانه من التقدير.

فلما استحال عند ذوي الألباب أن تكون العلل الميتة عالمة حية مدبرة، متقنة للصنع مقدرة، علمنا عند ذلك بيقين أنه لا صانع حكيم، مدبر قدير عليم، إلا الله الحي القيوم.

باب الرد على حدث الحيوانات ونهايتها

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -عليهم السلام-: إن سأل سائل من

---

[1] في (ب): لا تغني أنفسها فضلاً عن أن تغني تدبير غيرها.

الملحدين فقال: ما أنكرتم من أن تكون الحيوانات لم تزل على ما ترى، تحدث نطفة من إنسان وإنساناً من نطفة وبيضة من طائر وطائراً من بيضة إلى ما لا نهاية له ليس لشيء من ذلك أول ولا يكون له انقضاء، ولا خالق للأشياء؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك أشد الإنكار، وذلك أنا قدمنا لك أن في هذه الحيوانات آثار حكمة الحكيم، لا تهيأ إلا لعليم، وما كان فيه آثار صنع الحكيم العالم فهو محدَث مبتدع، ومنشأ بإذن الله مصطنع، وما صح إحكامه وتدبيره، وإنشاؤه وتقديره، فهو محدَث مجعول، ومبتدأ مفعول، وما صح حدثه واجتعاله، ونشأته وافتعاله، فقد صح تناهيه واعتماله.

ألا ترى أن في الحيوانات إبانة صنع الحكيم ، والقديم لا يكون في آثار علم عليم ؛ إذ القدم أغناه عن الفاقة إلى غيره ، والأزل لا يوصف بحاجة إلى الحكيم وتدبيره، إذ هو ممتنع عن علمه وتقديره ، فلما وجدنا الحيوانات ليست ممتنعة من التدبير ، ولا خلية من الإحكام والتصوير ، علمنا أنها بخلاف ما ذكرت ، وأنها غير ما وصفت.

فقولك: ليس لشيء من ذلك أول، هو من أحول المحال، وأفسد الفساد، وأضل الضلال، لأن هذه الحيوانات لا تخلو من أحد وجهين في حال قدمها، وما ادعيت من أزلها: إما أن تكون على ما ترى من إحكامها وتكوينها ونعمها وحياتها وتعميرها، وإما أن تكون ميتة جامدة، وساكنة لابثة هامدة.

فإن قلت: إنها كانت على ما نرى من كمالها، وذلك دليل على حكمة خالقها وجاعلها.

وإن قلت: إن أصول الحيوانات كانت ميتة كسائر الجمادات فمع موتها والحمد لله دليل على صانعها ومميتها، والممتن عليها بعد إماتتها بحياتها، والمظهر لصنعه في إحكام أدواتها، والمنعم عليها بكفايتها، والعالم بحاجتها إلى جميع آلاتها، والمتفضل عليها بعلمه بعاقبتها.

باب الرد على الجوهرية

قال الإمام المهدي لدين الله الحسين بن الإمام المنصور بالله القاسم -عليهم صلوات الله-[(١)]:

[الرد على قول أهل الهيولا والصورة]

وزعم صنف من الملحدين وهم أصحاب الجوهر أن الهيولا وهو أصل الحيوانات جوهر قابل للأعراض، وأن معه قوة قديمة، وهو قديم فحرك القوة محدث البرد فقبله ، ثم حدثت القوة فحدث الحر فقبله ، ثم قبل اليبس والرطوبة.

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم -عليهما السلام-: فأي عاقل يجوز عليه قول من قال من الجوهرية: إن الطينة الميتة معها قوة هيولية أصلية قديمة عنصرية، تدبر لها نفسها حتى تصير مدركة حيوانية، بعد أن كانت ترابية مواتية، وقد وضح في عقول ذوي الألباب، فساد من ادعوا من قوة التراب، وكيف يتوهم ذلك متوهم غوي فضلاً عن عاقل سوي، وأنا يكون ذلك من فعل التراب، وهو موات ضعيف غافل، وقد عجز عن ذلك وهو حي حكيم سوي عاقل، وكيف يكون للطينة قوة هيولية، وليس لها إرادة ولا مشيئة، وهي إذ ذلك غافلة مواتية.

وإذا عجز الجوهر في حال بلوغه وكماله، عن تدبير[(٢)] صورته وأوصاله، فهو في حال موته ونقصانه، أحرى بالعجز عن إحداث خلقه وتبيانه، وإذا عجز في حال حياته وقوته، فهو أحرى بالعجز في حال موته وغفلته.

ودليل آخر: لا يخلو الجوهر الذي ادعيتم قوته وادعيتم خلقه من أحد وجهين: إما أن يكون حياً حكيماً عاقلاً سوياً، قادراً مدبراً قوياً، وإما أن يكون ميتاً غافلاً ضعيفاً.

فإن قلتم: إنه كان حياً سوياً حكيماً، مدبراً قوياً عليماً، فقد أقررتم بأنه مصنوع لما في الحيوان العاقل من آثار التدبير الذي وصفنا، والحكمة التي على الله قدمنا في أول كتابنا.

---

(١)ـ ساقط من (أ).

(٢)ـ في (ب): تبديل.

وإن قلتم إن الجوهر في حال خلقه لنفسه وتحريكه لقوته ميتاً غافلاً فهذا ما يقول به المجانين لجهلهم، ولا يتكلمون به مع ذهاب عقولهم، لأن الميت لا يحكم ولا يدبر، ولا يحرك نفسه ولا يقدر، وإذا كان الحي السوي عاجزاً عن تدبير نفسه وغيرها، فالميت أعجز عن إحياء نفسه وتدبيرها.

ومما يدل على فساد قول أصحاب الطبائع أن يقال لهم: لا تخلو هذه الطبائع من أحد وجهين : إما أن تكون حية قديمة مدبرة، متقنة للصنع مقدِّرة، وإما أن تكون مواتاً مثل الجوهر الذي هو أصل للخلق.

فإن كانت مواتاً من جنس الهيولا فقد بان صنع الموات وتقديره، وبطلان حكمته وتدبيره، لأنه لا يقي نفسه فضلاً عن تدبيره غيره، بل هو من العجز والضعف فيما يمنعه من الحدث، إذ لا قوة له ولا حياة، ولا إحسان له ولا إساءة، وكفى له بذلك عجزاً وضعفاً.

وإن كانت العلة للخلق حياً قديماً مدبراً ليس له شبيه ولا مثيل، ولا نظير ولا عديل، فهذه صفات الخالق، والخالق ليس بعلة ولا معلول، بل هو الله الرحمن الرحيم، الذي عجز عن نعته الناعتون، وضل عن وصفه الواصفون، و لم يتوهمه المتوهمون، و لم تقع عليه الظنون، و لم تدركه الأبصار، و لم تحوه الأقطار، و لم تحل عليه الأفكار، بل عجزت عن اكتناهه القلوب، و لم تخف عليه الغيوب، و لم تحده الجهات، و لم تنله الأدوات، وجل عن الصفات المحدثات، وعز عن النوم والسِّنات، وجل عن درك المدركات، و لم يؤوده حفظ الأرض والسماوات، و لم يشتبه عليه شيء من الأصوات، و لم يمازج النور ولا الظلمات، و لم تجر عليه عوارض الساعات، و لم تنله صفات عواجز اللهوات، و لم يحتجب عن الأبصار بحجاب، ولا بسبب من الأسباب، مما يجول في خواطر الألباب، تعالى عن ذلك رب الأرباب.

جعل الخلق ليستدل به عليه، ويكون للمكلفين داعياً إليه، وتعبده للمخلوقين[1]، للفرق بين المطيعين والعاصين، وأرسل المرسلين مبشرين ومنذرين، وأكمل به الحجة على جميع العالمين ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ(٤٢)﴾ [الأنفال].

باب الرد على الفضائية، والدليل على حدث الفضاء ونهايته

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -عليهما السلام-: إن سأل بعض الملحدين فقال: ما الدليل على حدث الهواء، المكان الذي فيه الأشياء؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على حدثه ما شاهدنا فيه من لبثه وإقامته، وقلة زواله وحركته.

فإن قال: وما في سكونه ولبثه، من الدليل على تكوينه وحدثه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أبين الأدلة وأوضحها، وأقواها في العقول وأصحها، وذلك الإقامة لا تكون إلا على وجهين، وهما عند أهل العقول فغير منكرين:

فأحدهما: إقامة لا تحصى عدد أوقاتها [ولا تعتد لكثرة سنيها][2] وساعاتها.

والثانية: فإقامة كانت بعد العدم، وتلك فما لا يدعى أنها توصف بالقدم.

فأما ما كان من الإقامة بعد أن لم يكن، فاستغنينا عن الدليل على حدث ساعاته لكونها بعد العدم.

وأما الإقامة التي هي ساعات لا يحصى عددها، ولا يدرك لتقدمته أمدها، فمثل إقامة الهواء، المكان الذي فيه الأشياء، وسندلك إن شاء الله على حدوثها وتبدي كليتها ولبثها.

وذلك أن ما مضى من إقامة سنيه وشهوره وساعاته، لا يخلو من أحد ثلاثة أوجه: إما أن يكون مضى كله، وإما أن يكون مضى بعضه، وإما أن يكون لم يمض منه كل ولا

---

(١)- في (ب): وتعبد المخلوقين.

(٢)- ناقص في (ب).

بعض.

فإن قلت: لم يمض شيء من دهوره وزمنه وما لا يحصى من إقامته؛ جحدته وجحدت قدمه، وأوجبت حدوثه أو عدمه.

وإن قلت: بل مضى بعض الماضي المتقدم من الأيام؛ ناقضت بين ما نطقت به من الكلام، و لم تجد بين ما مضى فرقاً عند جميع الأنام.

وإن قلت: بل عدم كل ما مضى من ذلك وخلا، وتضمنه العدم بعد حدوثه والفناء، أوجبت أنه محدث فحدوث أوله لصحة فنائه بأجمعه كله، إذ لم تكثر الإقامة إلا بعد قلة أولها، وبعد حدوثها وفنائها كلها، وإذا صح في المعقول أن لإقامته أولاً وبدئاً فقد تقدم وخلا، فهو بأيقن اليقين محدث بحدوث إقامته، إذ لم ينفك من اقامة بكليته، وإذا صح أنه مقيم كله بذاته، وصح أنه يحدث بجميع صفاته، فقد صح بأبين البيان تناهيه وتحديده، وأن الله مخترعه ومرتبه.

فإن رجع إلى مكابرة عقله، وسأل عن المحال بفاحش جهله فقال: وما أنكرت من أن يكون الهوى قديماً قبل إقامته، أو أن يكون متحركاً في حال العدم قبل سكونه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأنه لا ينفك من الإقامة أصلاً، لأنه إن تحرك فهو مقيم على الحركة ولا بد لإقامة الحركة من كثرة أو قلة، ولا بد لها من تبعيض أو كلية، ولا بد إن شاء الله من الكلام والرد على من توهم حركته في سالف الأيام، فنقول ولا قوة إلا بالله: إن قولك بحركته هو ما يدل على تناهيه وغايته، ويوضح ما قلنا به من حدوث أوليته.

وذلك أنه لو كان قبل سكونه متحركاً، ثم وجد بعد ذلك من الحركة منفكاً، لكان لتلك الحركة آخر ومنقطع، وللسكون بدء ومبتدع، وإذا صح أن لحركته انقطاعاً، ولسكونه حدثاً وابتداعاً، صح أن الحركة قد انقطعت كلها، وأبطل آخرها وأولها،

وانتفى قدمها وأزلها[1].

فإن قال: هل للفضاء حدود يتناهى إليها، وأماكن يعتمد عليها؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: نعم له حدود متناهية، وأطراف متباعدة متباينة.

وأما قولك هل له أماكن فيحتمل وجهين إما أن تكون أردت به الجهات الست، اليمين والشمال والخلف والأمام والفوق والتحت، وإما أن تكون أردت به غير ذلك مما سنذكره ونشرحه إن شاء الله ونفسره.

فإن كنت أردت ما وصفنا من الجهات، فليس جهات غيره تحويه، ولا له مكان سواه يحل فيه، لأنه لو احتاج إلى مكان، لاحتاج كل مكان إلى مكان، وهذا فيبطل غاية

---

(١) - الفضاء الذي يتحدث عنه الإمام -عَلَيْه السَّلام- ويستدل على حدوثه هو مجموع شيئين اثنين أولهما الفراغ الذي هو المسافات والأبعاد ، وثانيهما الهواء الحالّ في هذا الفراغ .

وقد استدل -عَلَيْه السَّلام- على حدوث الفضاء الذي هو مجموع الشيئين بالحركة والسكون ، وهما من صفات الهواء الذي يحلّ في ذلك الفراغ لا من صفات الفراغ، ولعله -عَلَيْه السَّلام- بنى على أنهما شيء واحد كما هو مذهب بعض العلماء المتقدمين، والصحيح ما ذكرناه من أنهما شيئان اثنان .

فالهواء الحال في الفراغ جسم لما يرى فيه من خصائص الأجسام كالحركة والسكون ، وحلول الحرارة والبرودة فيه والرطوبة واليبوسة ، وكذلك حلول الروائح الطيبة والخبيثة وكل ذلك من أعراض الأجسام وصفاتها .

أما الفراغ المحض الذي هو المسافات والأبعاد فالذي يظهر لي والله أعلم أنه ليس بجسم، وإنما هو من مقومات الجسم، بمعنى أن الجسم يتركب من شيئين :

أحدهما : المادة ، والثاني الأبعاد التي هي الطول والعرض والعمق ، وهاتان الصفتان هما ذاتيتان للجسم تتركب ماهيته منهما ، ومن هنا قالوا في تعريف الجسم: هو الطويل العريض العميق .

فإذا قامت الدلالة على حدث الأجسام استلزم ذلك حدث الفراغ الذي هو المسافات والأبعاد والتي يعبّر عنها بالطول والعرض والعمق . تمت من السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي حفظه الله تعالى.

البطلان، لما دللنا[١] عليه من حدوث الأمكنة، التي هي من الأفضاء والأهوية.

وإن أردت بالأمكنة التي ذكرت، وعنها في بدء الكلام سألت، أن الأجزاء الكبيرة منه أماكن لقليله، فقد أصبت، ولا اختلاف بين ذوي العقول فيما به نطقت، ألا ترى أن أطرافه تحوي وسطه، وأن أعلاه جهة لما دونه.

فإن قال: هل له أعلا وهل له أسفل وجوانب أم لا؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: نعم له أعال وأسافل، وجوانب وقوابل، وكل ما ذكرنا من ذلك فهو حدود وغايات، وليس لها بعد انقطاعه جهات.

فإن قال: بين تلك الحدود مغايرة تعرف، أو هل وراء الحدود شيء للمغاير أو يوصف؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أما الحدود في أنفسها فالأعالي من الجو مغاير لأسافله، والأوساط منه فغير قوابله.

وأما سؤالك عن وراء الحدود، فليس لها وراء ولا شيء يتوهم ولا يرى، وإنما المتوهم والمرئي المعقول، هو المحدث المصور المجعول[٢].

فإن قال: فهل لو أرسل الله جسماً ثقيلاً وخلاه، وأهبطه إلى أسفل الجو وأهواه، لخرج من حدود الجو إلى شيء سواه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لو كان ذلك من الله عز وجل لم يمتنع أن يوسع الله له في المحل.

فإن قال: فما تقولون لو لم يرد في محل الجسم وأهمله، وخلاه ينحدر سفلاً سفلاً وأرسله؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لو كان الله عز وجل يريد المحال، ويعبث كما توهمت في

---

[١]- في (ب): لما قد دللنا.

[٢]- في (ب): المعقول.

الأعمال، لكان الجسم يهوي حتى يصل الحدود، ثم فيه كلام.

فإن قال: وما ذلك الكلام.

قيل (له ولا قوة إلا بالله: إما أن يرسله يخلق معه مكاناً يهوي فيه، وإما أن)[١] يمسكه في الحد الذي وصل إليه، وإما أن يهويه في غير مكان، وإما أن يرده من حيث أهواه، وإما أن يهويه في مكان لا نهاية له، وإما أن يفنيه إذا وصل الحدود ويبطله.

فإن قال[٢]: إنه قد يمكن أن يخلق له مكاناً، أو يحدث فيه فناء وبطلاناً، أمكن ذلك في قدرة الرحمن، وذلك فما لا يختلف فيه عالمان ولا جاهلان.

وإن قلت: إنه قد يمكن أن يمسكه عند بلوغ حده، أو يمكن ما قلنا به من رده، أمكن ذلك في صنع الله وتقديره، ولم ينكر ذلك من تدبيره.

وإن قلت: إنه يهويه في غير مكان، فهذا القول من مسائل المحال، ومما تناقض من المقال، لأنك قلت: يهويه، فأوجبت حركته وانحداره في مكان، إذ لا تكون الحركة إلا في أماكن الجولان، ثم نقضت قولك بقولك في غير مكان.

وإن قلت: إنه يهويه في مكان لا نهاية له، فهذا من أكبر التناقض والفساد، وأعظم الكذب والجحد والإلحاد، وذلك أنك قلت يهويه في مكان لا نهاية له، وقد بينا حدث المكان وكليته، وأوضحنا نهايته وغايته، فكيف يكون المخلوق المحدَث قديماً، أو كيف يكون الحد الموجود معدوماً.

ودليل آخر: أن الله عز وجل لا يفعل فعلاً إلا لحكمته، والله يتعالى عن أغاليط الملحدين، ويتنزه عن ألاعيب المفترين.

ولولا المبالغة والنصفة للمناظر في الجدال، لما ذكرنا شيئاً مما لا يليق بالله من المحال، لكن الواجب علينا أن نبين كذب الجاحدين، ونذب عن دين رب العالمين، إذ كانت في

---

(١)- ما بين القوسين زيادة في (ب).

(٢)- في (ب): فإن قلت.

الله رغبتنا، ولدينه بالمجهود نصرتنا، فنسأل الله عالم الغيب والشهادة، أن يجعل حياتنا في طاعته ما أحيانا، وأن يحشرنا مع الأبرار إذا توفانا، ونسأله عز وجل ألا يقبض أرواحنا إلا بعد رضائه عنا، وأن يجعل آخر ساعة من حياتنا في أعظم فروضه التي كلفنا، وألا يخرج أرواحنا من أجسادنا إلا في سبيله عند جهادنا، ونسأله أن يمتنّ علينا ببلاغ مكروه أعدائه، والنصر للصادقين من أوليائه، وأن يجعل نصر المحقين آخر أعمالنا، [والثواب آخر آمالنا][1] والشهادة آخر محنتنا، والمقابر أول راحتنا، وأن يغفر لنا ذنوبنا، ويثبت على دينه أقدامنا، وأن يجعل ذكره وتوحيده آخر كلامنا، والغضب له إن شاء الله آخر حقدنا، والرضاء فيه آخر ودنا، والمحبة له إن شاء الله آخر حبنا.

مسألة: فإن قال بعض الملحدين، أو سأل سائل عن رب العالمين، وقدرته في خلق المخلوقين، فقال: هل كان الله يقدر أن يخلق الهواء الذي هو محل الأشياء قبل أن يخلقه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أيها السائل أن الله عز وجل لم يزل قادراً، وإنما تقع القدرة على المقدورات، وليس يقول أحد يعقل إن القدرة تقع على المحالات، وهذه مسألة محال، لا يفهمها أحد من الجهال، وذلك أنك جعلت الوقت قبل الهواء بقولك يخلقه قبل أن يخلقه.

لأنك إذا أردت أن يخلق الهواء قبل أن يخلقه لم يخل من أن يخلقه قبل أن يخلقه بقليل أو كثير من الأوقات، ومقادير الأزمنة والساعات، ومحال أن يكون الوقت قبل الهواء، لأنهما خلقا معاً، فكان الوقت إقامة الهواء، وجعلت أنت أيها السائل صفة الهواء قبله.

ومحال أن تكون الصفة قبل الموصوف، وإذا صح حدث الهواء بدلائل الحركة والسكون، واللذين هما الأوقات، وهما حقيقة الأزمنة والساعات، فقد صح حدث العلل والمعلولات؛ لأن كل علة أو معلول، أو دقيق من الصنع أو جليل، لا يكون إلا

---

[1] زيادة في (ب).

جسماً أو عرضاً ومتحركاً زائلاً أو ساكناً مقيماً مجتمعاً أو مفترقاً.

والعرض لا يوجد إلا في جسم، والجسم محدث، وما لا يوجد إلا بوجود المحدثات، فهو محدَث مثلها، بل هو أضعف منها، إذ كانت هي توجد بأنفسها، والعرض لا يوجد إلا بوجودها، ولا يثبت إلا بعد عدمها.

والدليل على التناهي والتحديد، فأقرب ما يكون من الحدث الموجود، وتفسير ذلك: أن الله سبحانه خلق الأشياء كلها، وإذا صح حدث جميعها، فقد تناهت بصحة ابتداع بدائعها، لأن ما صح ابتداعه، وبدأ صنعه واختراعه، فقد تناهى حدث أوله وفرغ الصانع من آخره، والفراغ نهاية.

وإنما هذا الدليل يدل على غاية الأجسام، وليس يريد بذلك انقطاع آخر الأزمان، وإنما تناهي [الأعراض من الأوقات، تناهي][1] حدوث ساعات وبطلان ساعات، وليس ينقطع حدوثها أبد الأبد، ولا يكون لحدوثها غاية تنقطع ولا أمد، ولا يقطع كرور الساعات قاطع، ولا يحد ذلك بمشيئة الواحد الأحد الجبار الفرد الصمد.

فإن قال قائل: فكيف أوجبت دوام حدوث الساعات، وكرور الأزمنة والأوقات، وقد وعد الله سبحانه بالفناء، في هذه الدنيا وحكم للآخرة بالبقاء؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: إن الله عز وجل إنما أراد بقوله: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ [القصص:٨٨]، الحيوان ولم يرد بذلك الأوقات والأزمان، وهذا فمعروف بيّن غاية البيان، فيما نزل الله سبحانه من الفرقان وذلك قوله سبحانه في ملكة سبأ وما أوتيت، وما حكى عز وجل مما ملكت: ﴿**وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ(٢٣)**﴾ [النمل]، وقد علم بيقين أنها لم تملك كثيراً من الأشياء من ذلك ملك سليمان وغيره، وإنما هذا القول خاص في بعض الأشياء دون بعضها.

[بيان أول المخلوقات]

---

(١)- زيادة في (ب).

مسألة: فإن قال قائل: أخبروني هل كان قبل الهواء شيء يعرف، أو يحد أو يوصف؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: قد قال غيرنا بذلك و لم يصح، فأما قولنا: فإن الهواء أول ما خلق الله سبحانه وسنبين فساد قولهم إن شاء الله وبطلانه.

وذلك أنهم زعموا أن الله حكيم، والحكيم بزعمهم لا يخلق خلقاً إلا لينتفع به فزعموا أن الواجب على الحكيم أن يخلق عاقلاً، وأن لا يخلق غيره من المنافع أولاً.

فأما قولهم: إن الله حكيم وكذلك نقول، وبذلك شهدت حكم العقول.

وأما قولهم: إن الواجب على الحكيم أن يخلق العاقل المنتفع قبل أن يخلق له المنافع، فهذا والحمد لله غير واجب على الحكيم، وقد خلق الله السماوات العلا، وغيرهن من الأرضين السفلى، قبل أن يخلق أحداً من العقلاء، فلم يدخل على حكمته في ذلك تهجين، و لم يجز عليه فيما أبرم ضعف ولا توهين، وما في تقديم المنافع قبل المنتفع من سقوط الحكمة، وأي حكمة عند من عقل أحكم من تقديم النعمة، ألا ترى إلى ما قدّم الله سبحانه للأطفال قبل خلقهم، من المراضع التي جعلها لهم، وصورها في صدور أمهاتهم، أولا ترى ما في هذا من حكمة التدبير، وبيان الصنع والنعمة والتقدير.

وفي نقض قولهم والحمد لله عندنا من الدلائل ما يكثر ويطيب، ويصح لكل عاقل لبيب، غير أنا نميل إلى اختصار الكلام، ولو رمنا شرح جميع الدلائل في صنع ذي الجلال والإكرام، لطال ذلك على أكثر الأنام، ولعسر تناوله على جميع أهل الإسلام، ولكنا نلقي إن شاء الله تعالى من ذلك بما فيه كفاية، لمن كان له بنفسه عناية؛ فرحم الله عبداً نظر لنفسه، واجتهد في طلب الدليل على ربه، وأخذ في عمارة قلبه.

وليعلم من أراد معرفة الله جل جلاله، وظهرت نعمه وأفضاله، أنه من صار إلى ذلك بنية صادقة، وعزيمة وطاعة متحققة، فهو من خاصة الله وأخلائه وأحبائه وأوليائه وخلصائه، وكفى لعبد أن يكون لله ولياً، وحبيباً مرضياً، ومن كان كذلك وعلى ما وصفنا من ذلك، فسيعلم إن شاء الله تعالى ما دام على ما وصفنا أن الله يمده من معرفته بأكثر مما يحتاج إليه، ويرزقه من حيث لا يحتسب ما كان متوكلاً عليه، ويطلعه على كثير

من الأسرار المكتوبة، ولا يحتجب عنه حقيقة علم معلومة، فلا تَزِلّ قدمه مع ذلك من الهدى، ولا يهلك إن شاء الله تعالى مع نور قلبه أبداً.

ألا ترى أن الحكيم منا لا يطلع عدوه على أسراره، ولا يخصه منه ببواطن أخباره، وإذا كان ذلك فينا موجوداً، وعند حكمائنا معايناً مشهوداً، وكان الله عز وجل أحكم منا، كان الواجب عليه أن يبعد من كان له عدواً، ولا يدفع عنه مكروهاً ولا سوءاً.

وكذلك أيضاً عند حكمائنا أن الحكيم لا يخذل له أبداً أولياء، ولا يكتمه من أسرار علمه شيئاً، ولا يقطع عنه أبداً خواص بشاراته، ويخف سرور كراماته، وإذا كان ذلك واجباً على حكمائنا فهو على الله أوجب إذ هو أحكم منا.

باب الوحدانية

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -عليهم جميعاً السلام-: إن سأل سائل فقال: ما الدليل على أن الله سبحانه واحد؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على وحدانية الله سبحانه تضاد الاثنين وتنافيهما.

فإن قال: وما أنكرت من اتفاقهما؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأنهما لا يخلوان من أحد وجهين: إما أن يكونا اتفقا من قبل ذلك، فإن كانا اتفقا من بعد ما تضادا فاتفاقهما ذلك حاجة وضرورة وخوف، فالخائف المضطر المحتاج مخلوق ضعيف عاجز، والخالق فلا يكون بهذه الصفات موصوفاً، ولا بمضادة الأمثال معروفاً.

وإن كانا اتفقا من قبل الإختلاف فما حداهما إلى الإتفاق؟

فإن قلت: خوفاً من الإختلاف؛ فالخائف ضعيف عاجز محتاج إلى معين وشريك، والخائف من النوازل والملمات لا يكون إلا مضطراً إلى الخوف مدفوعاً، وعن القدرة بالعجز ممنوعاً.

وإن قلت: إنهما اتفقا لغير معنى كان ذلك من أعظم العيوب، وأولى ما تنزه عنه علام الغيوب، لأن الأفعال لا تكون إلا للمعاني، أو للعبث والسفه والهوى، والخالق لا يعبث

ولا يهوى، لأنه غني عنهما، وفي ذلك من الدلائل أكثر مما ذكرنا.

باب القِدَم

فإن قال: فما الدليل على أن الله قديم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على أنه سبحانه قديم أن في كل محدَث صفة تدل على محدِثه، وبنية في حده تدل على بانيه وصانعه، وليس لله عز وجل صفة تدل على حدَثه دلالة ذات مركبة، فيدل ذلك التركيب على مركبه، وإذا كان الله سبحانه لا يوصف بصفات تدل على الحدث، فقد ثبت له القدم، وانتفى عنه الوجود بعد العدم.

فإن قال السائل: فإذا كان لا بد لكل محدث من دليل يدل على حدثه، فكذلك أيضاً لا بد للقديم من دليل يدل على قدمه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على قدمه تبارك وتعالى: أنا وجدنا المحدثات تحتاج إلى محدث أحدثها، وأن المحدث لها لا يكون محدثاً مثلها، لأنه لو كان مثلها وكان يشبهها لتعذر عليه خلق الأجسام كما تعذر عليها.

باب الصفات القديمة التي هي لله عز وجل

[الله عالم]

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم -عليهما السلام-: إن سأل سائل ملحد أو قال قائل مسترشد: ما الدليل على أن الله عالم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على علمه سبحانه وجود صنعه تاماً محكماً، والحكمة لا تتم من جاهل، فعلمنا أنه عالم بكيفية الصنع قبل فعله، كعلمه به بعد جعله.

ألا ترى أن الفعل يتعذر على من يجهله، وأن الفاعل لا يقصد فعل شيء إلا وهو عالم بكيفيته بعد إكماله، وإلى ما يؤول عند تمامه واعتماله.

ألا ترى أنه لو قصده بغير علم لما تم له بجهله، والله يتعالى عن الجهل والنقصان، ويجل عن شبه من خلق من الإنسان.

ودليل آخر: أنه لا يخلو في حال فعله للمفعولات، وصنعه لما صنع من المحدثات، من

أحد وجهين مختلفين، متضادين غير مؤتلفين، لا يوجد إلى ثالث سبيل، ولا تشهد بغيرهما العقول: إما أن يكون صنعها وهو عالم بكيفيتها، وإما أن يكون صنعها وهو جاهل بصنعها لا يدري إلى ما تصير عند كمالها؟

فإن كان صنعها وهو عالم، فذلك أولى ما وصف به الرحمن، وأوضح ما شهد به البرهان.

وإن خلقها وهو لا يدري إلى ما يؤول ، فلا فرق بين الفاعل والمفعول، لأن من قصد فعل شيء بجهله، فهو متحير لا يدري كيف يفعله، ومن تحير في شيء وشك في علمه، فهو أحرى بالعجز عن فعله، فكيف يتسق له ما هو به جاهل، وعنه متحير غافل، وعن الهدى والرشد زائل، وبالجهل مستكبر ذاهل، أبخاطرٍ خطر على باله فخلا عنه ما كان من جهله، وأوضح له ما جهل من فعله، فالخاطر عرض يخطر في القلوب، ويتعالى عنه علام الغيوب، والعرض لا يحل إلا في الأجسام، وقد بينا حدثها في أول الكلام.

وإذا كان له بال يخطر عليه الذّكر بعد نسيانه، ويتبين ما عبر عليه من شأنه، فقد عاد ثلاثة مجموعة:

أولها: الجسم القابل للأعراض، الجاهل الذي لم يخل من الحيرة والأمراض.

والثاني: جهله المركب المبني عليه.

والثالث: علمه الحادث المضطر إليه الذي لولا حدثه لما انتفع بجسمه ، ولأضره الجهل بما ركب من جرْمه، ولوقع في أعظم الهلاك وهو لا يدري، ولكان لا يعقل ولا يعي، ولا بد لما اجتمع من الأشياء بعد افتراقه من جامع، ومفتطر عالم صانع، وهو الله العليم القدير، الواحد السميع البصير، الذي لا تحل به الآفات، ولا تغيره الأوقات، ولا ينقص ولا يزيد، ولا يبطل ولا يبيد.

[الله تعالى قادر]

وكذلك إن سأل عن القدرة **فقال:** ما الدليل على أنه قادر؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على قدرته عز وجل وجود ما قدر على إيجاده،

وإحداث ما صنع من مراده، والدليل على قدم القديم، كالدليل على قدم العليم، لأنه لو خلا من القدرة لكان قبل ذلك عاجزاً ولو حدثت القدرة فيه لم يخل من أن يكون هو الذي أحدثها أو غيره.

فإن قلت: هو أحدثها لم يكن ذلك إلا بقدرة متقدمة، وإن قلت: غيره أحدث فيه القدرة جعلت له خالقاً، و لم يكن رباً ولا صانعاً، وإن أحدث فيه شيء[1] فهما شيئان مجتمعان، وقد قدمنا الدلالة على حدث الإجتماع بأبين البيان.

[الله تعالى حي سميع بصير]

فكذلك إن سأل عن الحياة فقال: ما الدليل على أن الله حي سميع بصير؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على أنه حي سميع بصير، أنه عالم حكيم قدير، ومن صح له العلم والقدرة والقدم والحكمة، فقد انتفى عنه الموت والغفلة، لأن الميت لا يكون حكيماً، وكذلك الأصم الأعمى لا يكون عليماً.

والدليل على قدم الحياة والسمع والبصر أنه لو خلا من قدمها لما كان عالماً قادراً قبل حدوثها، لأن الميت لا يكون عليماً قديراً، ولا يكون سميعاً بصيراً، ولو حدثت هذه الصفات بعد عدمها لكان لها محدثاً بخلافها.

فإن قال: أخبروني عن القدم ما هو؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: مسألتك تحتمل وجهين: إما أن تكون أردت قِدَمَ الله رب العالمين، وإما أن تكون أردت غيره من قِدَمَ أسنان المخلوقين، وتقادم أزمنة الأولين.

فإن كنت عنيت بسؤالك قدم الأسنان، فذلك طول الدهور والأزمان.

وإن كنت عنيت قدم الواحد الرحمن، فقدمه هو ذاته، وذاته قِدَمُه، فكذلك علمه قدرته وقدرته علمه، وكذلك القول في سمعه وبصره وحياته أنها شيء واحد هو الله عز وجل.

---

[1] في (ب): وإذا أحدث فيه حدث.

ألا ترى أن السمع هو العلم بالأصوات، وكذلك البصر هو العلم بالمبصرات، لا أنه كما قال أهل التشبيه ذو آلات، لما في الآلات والأدوات من السكون والحركات، والحركة والسكون فمحدثان، وهما عن الله منفيان، لأنهما عرضان متداولان، وضدان متنافيان، لا يوجدان إلا في مفترق أو مجتمع، ولا يكون الافتراق والاجتماع إلا من مفرق جامع، وخالق فاطر صانع، وهذه صفات المحدثات التي لا تنفك من الأعراض، ولا تمتنع من الكلية والأبعاض، فهي غير ممتنعة من صنع صانعها، وتفريق مفرقها، وجمع جامعها، فهي لا تعرف إلا بتقدير مقدرها، ولا تنفك من تدبير مدبرها.

فجهاتها تدل على غايتها، وانقطاعها وإكمال صنعها وابتداعها وحدودها تدل على محددها، وعددها يدل على معددها، وأدواتها تدل على فاقتها، والتفضل بذلك يدل على رحمة صانعها.

فتعالى الله مولانا وسيدنا وربنا وخالقنا عما يقول المفترون، وتقدس عما يتفوه به العادلون، وينسب إليه الضالون.

[السبب في التشبيه]

وإنما تولد الشرك والتشبيه والتجوير ونفي العدل والتوحيد، من قبل الجهل بحدث العالم، ولو علموا بحدث المحدثات لما شبّهوا، ولو أيقنوا حقيقة اليقين لما ألحدوا في الله ولا كفروا.

[ثمرات المعرفة بالله]

وقد أظن إن شاء الله تعالى ظناً صادقاً، وأعلم علماً محققاً، أن مَنْ عظم يقينه بالله تبارك وتعالى لا يرغب في معصية أبداً، ولا يدخل في محظور متعمداً، ولا يخلو قلبه من الخشية والرحمة والهدى، ولا يدخل ما حيي في باب ردى.

ولقد أظن إن شاء الله تعالى أن من صار إلى ذلك فقد ظفر بأنواع الحكمة كلها، وبرئ إن شاء الله تعالى من جهلها، وعظم بالله سروره وأنسه، وهان عليه ماله ونفسه، وقلت هيبته للموت في الله ليقينه بالمعاد، ووثق بما ادخر لنفسه من الزاد، واجتهد في الله

غاية الاجتهاد، وقرب من العفو عن كل من أساء إليه، و لم تنكصه الشبهات على عقبيه، ونظر الدنيا وأهلها بعين الزوال، وأيقن عنها بالإرتحال، وأصبح للخيرات كلهـــا أهــلاً، وللدين محلاً ومعقلاً، وروى بمعرفة الله من الضما، وظفر بالغنائم العظمى.

[لماذا يعذب الله الجهال، والسبب في جهلهم]

فإن قال قائل: فلم يعذب الله الجهال على ما لم يعلموا و لم يضطروا إليه فيعرفوا؟.

قيل له ولا قوة إلا بالله: إنما يعذبهم الله عز وجل على ترك طلـــب الدليـــل عليـــه، والتوصل بالفكر في صنعه إليه، والخوف منه والطمع فيما لديه، ألا ترى أنك لو خوفـــت بشيء من المهالك وجب عليك أن تجتهد في طلب الأمان مما خفت، وأن تحرص في نفي ما كرهت، وأن لا توانى في ذلك ولو جهلت، حتى تعلم حقيقة ما به وعـــدت، فعلـــى تفريطهم استحقوا العذاب، ولخلاف أدلتهم عدموا الصواب، ولو تمسكوا بسفن النجاة لما غرقوا في بحور العمى، ولو شربوا من علم آل نبيهم لشفوا من الضما، ولظفروا بالغنـــائم العظمى، ولأنارت قلوبهم لمرافقة الحكماء، ولكنهم اكتفوا بعلم أنفسهم، واســـتقلوا آل نبيهم، فلا يبعد الله إلا من ظلم، وعلى نفسه بالسوء اجترم، فهذا سبب هلاك الجهـــال، وكثير من أهل النحلة الضلال، الذين شاهدناهم في عصرنا، ورأيناهم في دهرنا.

فكم غريق شاهدناه، وضال عمي رأيناه، قد استعمل في أئمة الهدى ســـوء الظنـــون، ورضي بباطله عن الحق المبين، وأعرض عن الحكمة واليقين، يرى بجهله أنه قد هدي إلى الصواب، وأنه أولى بالحق من ورثة الكتاب، ولو علم الله عز وجل أنه في ذلك المحل لجعله قدوة لعباده، وحجة على الخلق في بلاده، ولكن الله علم بعمى قلبه فلم يجعل له حظاً في وراثة كتابه.

فرحم الله عبداً نظر لنفسه، وأعمل الفكر بقلبه، وميز ما ينجو به من عـــذاب ربـــه، وألطف النظر في طلب السلامة، من هول عذاب يوم القيامة، ومناقشة الحســـاب يـــوم الحسرة والندامة، والتمس النور في الثقلين اللذين جعلهما الله حجة باقية إلى يوم الديـــن، وحشر العالمين، و لم يقتصر على واحد منهما دون ثاني، ولا على ميت من آل محمـــد -

صَلّى اللهُ عَلَيْه وآله- دون حي، وحذر إجحاف سؤال الرسول ومناقشته بين يدي الله في ذريته وولده، ومهجة قلبه، وثمرة فؤاده، وسلالة لحمه ودمه، الطاهرين الذين احتذوا بحذوه، وساروا بسيرته، واقتدوا به؛ فكم هالك هلك فيهم بسوء ظنه، فَضَلَّ وأضل، وحل من السخط في أعظم محل، ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا(١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا(١٠٤)﴾ [الكهف]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ(٢٢٧)﴾ [الشعراء].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي خاتم النبيين وعلى سادتنا أهل بيته الطاهرين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم القيوم، الواحد الفرد الصمد القديم، المدبر الخالق القدير العليم، المنعم المفضل الجواد الكريم، البر الرحيم، الغفور المحسن الحليم، السلام المؤمن المهيمن الحكيم، الذي لا تحصى فضائله، ولا تنقطع أبداً دلائله، ولا يضل من تمسك به عن هداه، ولا يهدى إلى الحق من عاداه، ولا يرشد من خذله وأرداه، ولا يذل من والاه.

أحمده حمد من أقر بربوبيته، وأشهد ألا إله إلا هو شهادة من تخضع لعبوديته، وتعرض لعفوه ورحمته وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفوته من خلقه وأمينه على وحيه، بعثه برسالته واختصه بهدايته، وانتجبه لأمانته، واحتج به على بريته، فأدى الأمانة ونصح الأمة، وأكمل الحجة، وبلغ الرسالة، جاهداً مجتهداً صابراً متعبداً، حتى أكمل الله به الدين، وأرغم به الشياطين، وأنذرَ عشيرته الأقربين، ولم تأخذه في الله لومة اللائمين؛ بل صدع بما أمر به، واجتهد في طاعة ربه حتى قبضه الله إليه، واختار ما لديه على حقيقة من دينه، وصحة من يقينه، رضياً مرضياً، زكياً هادياً مهدياً، مقرباً نجياً، ختم الله به أنبياءه، وهدى به أولياءه، وأرغم به أعداءه، وأوضح به حجته.

فلما ختم به نبوته ورفعه من الأرض وطهره، وتوفاه إليه ونشره، خلفه الله على أمته وامتن على بريته بأخيه ووصيه، وحبيبه ووليه، وخدينه وصفيه، وشفيعه ونسيبه، ووزيره وقريبه، أمير المؤمنين، وقاتل الناكثين، وسيف رب العالمين، ومردي الأوثان، وقاصم

الأقران، ومتنزل الفرسان، عن كل طامح العنان، إذا التقت صليب المـــران، المســـمى في القرآن بالإيمان، والمبشر في القرآن بالرحمة والرضوان.

ثم أكرمه الله بالوفاة وختم له بالنجاة، وألحقه بنبيه وأخيه ووليه، محمد خاتم النبيـــين، وسيد الأولين والآخرين، واحتجّ على خلقه بالسبطين الطاهرين المطهرين، ابني الرسول، وسليلي البتول، الحسن والحسين.

ثم قبضهما الله إلى رحمته وألحقهما بنبيه وأخيه ووليه، وخلفهما بعترة طيبة مرضيـــة، وشجرة مباركة زكية، وذرية هادية مهدية، يكثر عددهم.

وسنذكر إن شاء الله تعالى بعض من تجب طاعته منهم مثل زيد بن علي -رضـــي الله عنه- إمام المتقين -عليه صلوات رب العالمين-، ومثل ابنه يحيى المقتـــدي بـــه والمحتـــذي بحذوه، ومثل محمد بن عبدالله ، وإبراهيم أخيه المصممين في أمر الله، المجتهدين في طاعته، المحتسبين في مرضاته -صلوات الله عليهما ورحمته وبركته وغفرانه-، ومثل الحسين بـــن علي الشهيد المُحْرِم الباذل لنفسه في سبيل الله، المصمم الذي لم تأخذه في الله لومة لائم، فيحيى بن عبدالله بن الحسن القائم لله المحتسب، الصابر لله على الشدة والغضب، ومثـــل محمد بن إبراهيم بن إسماعيل القائم بحجة الله الجليل، فمثل القاسم بن إبراهيـــم الفـــاضل العالم الكريم، فمثل أمير المؤمنين الهادي إلى الحق المبين -صلوات الله عليه وعلـــى آبائـــه الطاهرين- فمحمد بن الهادي إلى الحق المرتضى الذي بشر به النبي المصطفى -صلوات الله عليه ورضوانه ورحمته وغفرانه ونضر الله وجهه وتقبل سعيه وعمله وحشرنا في زمرتـــه وجعلنا من حزبه-.

فهؤلاء الذين بشّر بهم الرسول صلى الله عليه وعلى أهل بيته.

اللهم إني أشهدك يا مولاي وسيدي، وأشهد حملة عرشك، وأهل سماواتك وأرضك، أني أشهد بإمامة هؤلاء الذين ذكرت في كتابي هذا، وأتولاهـــم وأوالي مـــن والاهـــم، وأعادي من عاداهم، اللهم يا مولاي إني أشهدك أني أرفض من رفضهم، أو رفض أحداً

منهم إلى يوم حشر العالمين.

وصلى الله على محمد النبي وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

* * * * * *



الجزء الثاني من كتاب التناهي والتحديد فيه مسائل المحال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حسبي الله:

[هل يجوز أن يفني الله نفسه]

إن سأل بعض المشبهة الضلال، فيما يقولون به في الله ويعتقدونه من المحال، فقال: أخبروني هل لو أراد الله أن يفني نفسه أيجوز ذلك أم لا؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: كلامك هذا فاسد محال باطل، لا معنى له ويستحيل أن يريد الله المحال، لأن الإرادة لا تقع إلا على الأفعال، والموت والفناء لا يقع إلا على الأجسام، ولا يدرك إلا ما كان جرماً من الأجرام، لأن الموت عَرَض يحله الله في الأشباح، والله ليس بشيء محدود، ولا غيره من العدد المعدود، وإذ لا يقع إلا على مفترق من الأشياء أو مجتمع أو متحرك أو ساكن، ولا يفنى إلا ما كان من الكل والبعض، وما لا ينفك من الطول والعرض، والله ليس بذي كل ولا بعض،ولا بذي أحوال ولا أعراض؛ لأن في ذلك من الحدث ما يدل على الخالق المحدِث[1].

[هل يجوز على الله أن يدركه بعض خلقه]

مسألة: كذلك إن سأل[2] بعض المشبهة الملحدين، الظانين بالله ظن السوء المتحيرين، فقال: أخبروني هل لو أراد الله أن يدركه بعض خلقه أيجوز ذلك أم لا؟

---

(١) - حاصل هذا الكلام أن الفناء لا يجوز ولا يصح أن يتعلق بالله تعالى لأنه تعالى ليس بجسم ولا عرض والفناء لا يتعلق إلا بذلك .

وقد قسّم العلماء المعلومات إلى ثلاثة أقسام :

١-واجب الوجود : وهو الله تعالى .

٢-ممكن الوجود : وهو الأجسام والأعراض.

٣-مستحيل الوجود : وهو نحو اجتماع النقيضين.

تمت من السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي حفظه الله تعالى.

(٢)- في (ب): قال.

قيل له ولا قوة إلا بالله: وهذه المسألة أيضاً من المحال، والله لا يريد المحالات، ولا يوصف بصفات المحدثات، لأن الإبصار لا يقع إلا على مفترق من الأشياء أو مجتمع، والمفترق مفصل، لا بد له من مفصِّل، والمجتمع موصَّل لا بد له من موصِّل، والله موصل الأشياء ومفصلها، ومفرقها وجامعها، ومبتدعها وصانعها.

[هل يقدر الله أن يخلق مثله]

وكذلك **إن سأل فقال:** أخبروني عن الله هل يقدر أن يخلق مثله؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: كلامك هذا فاسد محال لا معنى له، لأنك قلت: هل يقدر أن يخلق، فأوقعت القدرة على مخلوق، ثم نقضت قولك بقولك مثله، لأن الله خالق وهذا مخلوق، والله مدبِّر وهذا مدبَّر، والله صانع وهذا مصنوع، والله غني وهذا فقير، والله قديم وهذا محدَث، والله لا نهاية له وهذا متناهي، والله محدده ومفصله وموصله، وهو مُوَصَّلٌ مُفَصَّلٌ، وهذا من أكبر المحال، وأقبح المقال؛ فكيف يكون مخلوق خالقاً، ومحدَث قديماً، ورب مربوباً، وكيف يكون المحدَث مثل القديم، أو الخالق مثل المخلوق، أو كيف يكون الرازق مثل المرزوق.

[هل يقدر الله على خلق لا يكون جسماً ولا عرضاً]

مسألة من المحال أيضاً: وإن سأل فقال: هل يقدر الله أن يخلق خلقاً لا جسماً ولا عرضاً؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: هذا محال، وليس عن المحال مسألة، لأن كل محدث فيه آثار حكمة الصانع، وذلك ما ذكرنا من الكل والبعض، والكل والبعض لا يكون إلا جسماً من الأجسام الموصوفة بالطول والعرض، فقولك هذا متناقض فاسد، لا معنى له؛ لأنك قلت: يخلق خلقاً، والخلق فهو ما ذكرنا، ثم نقضت قولك فقلت: لا جسماً ولا عرضاً، فكأنك قلت يخلق خلقاً ليس بخلق.

[بيان معنى قولنا الله ليس بجسم ولا عرض]

فإن قال: فلم زعمت أن ربكم شيء ليس بجسم ولا عرض، وقد نفيتم ما ليس بجسم

ولا عرض؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأنا نفينا أن يكون خلقاً محدثاً لا محدثاً، لأنك إذا قلت محدثاً أوجبت فيه دلائل الحدث، فإذا قلت ليس فيه دلائل الحدث نفيته، والنفي والإثبات لا يجتمعان في شيء واحد.

وأما قولك ثم نفينا عن الله سبحانه أن يكون جسماً أو عرضاً وأثبتناه شيئاً.

فالجواب في ذلك: أنا جعلناه قديماً، والقديم لا يكون محدثاً، وكذلك نفينا أن يكون المحدث ليس فيه دليل الحدث، فيكون قديماً أو عدماً، ويستحيل أن يكون القديم مُحدَثاً.

وأما قولنا: إن الله شيء، فإنما نريد بذلك إثبات الموجود، ونفي العدم المفقود، إذ ليس إلا موجودٌ ومعدوم، فالموجود شيء، والمعدوم لا شيء، فلما وجدنا الصنع علمنا أن الصانع شيء، ويستحيل أن يصنع العدم شيئاً، ويستحيل أن يصنع الجسم جسماً لما قد وصفنا.

[هل يقدر الله على خلق لا نهاية له]

مسألة: فإن سأل فقال: هل يقدر الله أن يخلق خلقاً لا نهاية له؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: مسألتك تحتمل وجهين: إما أن تكون أردت جسماً لا حدود له ولا جهات، وإما أن تكون أردت أعراض الزمان والساعات، وما وعد الله بدوامه أهل الآخرة من اتصال الأوقات.

فإن كنت أردت جسماً لا حدود له، فهذا محال، وتناقض من القول والسؤال، لأنك سألت عن الجسم المحدود، ثم نقضت بقولك الحدود.

وإن كنت أردت بسؤالك وبما ذكرت من مقالك أعراض الآخرة ودوام ساعاتها، واتصال حدوث أزمنتها وأوقاتها، فكذلك نقول إنه لا انقطاع لدوامها.

[هل يقدر الله أن يعلم]

مسألة: وإن سأل فقال: هل يقدر الله أن يعلم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: كلامك هذا باطل، لا يجوز على الله سبحانه، وعز عن كل

شأن شأنه، قلت: هل يقدر الله أن يعلم، فجعلت العلم من المفعولات المحدثات، وأخرجته من الصفات الأزليات، والمقدور عليه لا يكون إلا من المحدثات، وذلك كعلم الإنسان المستفاد بالأفعال المدركات، والله يتعالى عن الجهل والنقصان، ويتقدس عن شبه الإنسان، وغيره من الحيوانات، وغيره من صنع الواحد الرحمن.

[هل يريد الله أن يقدر]

مسألة: فإن سأل فقال: هل يريد الله أن يقدر؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: هذه مسألة من أحول المحال، وأولى ما ينزه عنه ذو الجلال والإكرام، لأنك قلت: يريد أن يقدر، والإرادة فمن المفعولات، والقدرة فمن الصفات الأزليات، ولا تكون الإرادة إلا بقدرة من قدير، لم يسبق قدرته ضعف ولا تقصير، فجعلت الصفة القديمة من المفعولات، فنقضت قولك، لأنك قلت يريد، والإرادة فهي الفعل، والفعل لا يكون إلا بقدرة، فكأنك قلت يخلق القدرة بقدرة وهذا محال متناقض، وربنا محمود.

[هل يريد الله أن يعلم]

مسألة: وإن سأل فقال: هل يريد الله أن يعلم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: هذه مسألة تستحيل عن ربنا جل جلاله ، وظهرت نعمته وأفضاله، لأن العلم ليس بمفعول، ولا هو شيء سوى الله معقول، والإرادة على الأفعال، فلا تتم إلا بعد العلم بالأعمال.

[هل يعلم الله أن يقدر]

مسألة: فإن رجع إلى الحق ، وسأل عما يليق بالله من الصدق ، فقال: هل يعلم الله أن يقدر؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: نعم هو سبحانه يعلم أنه يقدر.

[هل يقدر الله أن يريد]

مسألة: فإن سأل فقال: هل يقدر أن يريد؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: نعم يقدر سبحانه عز وجل علمه وسلطانه، وظهر دليله وبرهانه، أن يريد لأن الإرادة فعله، والله قادر على الأفعال.

[هل يعلم الله أن يريد]

فإن قال: فهل يعلم أن يريد؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: نعم سبحانه إنه يريد، ولا يخفى عليه شيء في سابق علمه، ما سينقص من فعله أو يزيد.

[هل يعلم الله أنه يعلم]

مسألة: فإن قال: فهل يعلم أن يعلم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: نعم يعلم أنه يعلم ، ولا يخفى عليه شيء من المحدثات في حال العدم[1].

[هل يقدر أن يقدر]

مسألة: فإن قال: فهل يقدر أن يقدر؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: هذا محال ؛ لأن القدرة إنما تقع على المحدثات، وليس لله عز وجل قدرتان تقع إحداهما على الأخرى فتكون واحدة في عداد المفعولات، وتكون الأخرى في عداد الصفات.

فإن قال قائل: فكيف جاز قولك: يعلم أن يعلم، ويبطل قولي: يقدر أن يقدر؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: للعلة التي قد ذكرنا، وذلك أن الله عز وجل يعلم أنه عالم بكل معلوم، كما هو قادر على كل مقدور، ويستحيل قولك يقدر أن يقدر، لأن القدرة إنما تكون على الأفعال، وليس لله قدرة أخرى، فيما يعلم كل ذي عقل وحجى، إلا أن تريد بقولك يقدر أن يقدر، تريد بقولك أن يفعل المفعولات؛ فنقول: قد أصبت فيما اقتصرت عليه، و لم تخط فيما نسبت من لفظك إليه.

---

(1)- في (ب): القدم.

[بيان معاني الإرادة]

مسألة: فإن سأل فقال: هل يريد أن يريد؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أن الإرادة قد اختلف فيها على وجهين إرادة ضمير، وإرادة فعل.

فأما الضمير فتنفى عن الله سبحانه، لما قدمنا في ذلك من البيان، وأوضحنا بمن الله من البرهان.

وأما الفعل فهو أولى ما وصف به الرحمن، وأيما قصدت فلن يخلو من أحد ثلاثة أوجه: إما أن تكون تريد أن يضمر أن يفعل، أو هل يضمر أن يضمر غير ما أضمر، أو تكون أردت تكرير القول فقط، لا غير الفعل الذي هو إرادة الله عز وجل.

فإن أردت أنه يضمر أن يفعل فهذا محال، لا يجوز على الله ذي الجلال لما قدمنا من نفي الضمير، عن الله الواحد الخبير.

وكذلك إن أردت أنه يضمر أن يضمر غير ما أضمر، فهذا من أكفر الكفر والجحدان، وأحول ما استحال على الرحمن، لأن من يحب ويهوى، ويخطر على باله الأشياء، لا يوصف بعلم ولا خبرة، ولا تدبير ولا فطرة، لأنه لا يخلو من أحد وجهين: إما أن يكون على تلك الشهوات مجبولاً مصطنعاً، وإما أن يكون عزيزاً عن ذلك ممتنعاً.

فإن كان غير ممتنع من الخواطر والأحوال، ولا عزيزاً عن الزوال والانتقال، فذلك مضطر مفطور، ولا يمتنع من الحوادث والتدبير، ولا ينفك من صنع العليم القدير.

وإن كان عن ذلك عزيزاً، وكان من الخواطر ممتنعاً حريزاً، فقولك هذا كفر بذي الجلال، وجهل بالله الكبير المتعال.

وإن أردت تكرير القول بالإرادة، فقد[1] اخطأت في تكرير القول وترديده، في غير معنى.

---

[1]- في (ب): فقد أصبت،وأخطأت في تكرير القول وترديده.

[هل يعرف الله نفسه وكيف يعرف نفسه]

مسألة: فإن قال: أخبرني عن الله أيعرف نفسه أم ينكرها؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أنه لا ينكر نفسه، لأن المنكر لنفسه الجاهل بها، إذا جهل نفسه فهو لغيرها أجهل، والله يتعالى عن الجهل والنقصان، ويتنزه عن شبه المخلوقين في كل شأن.

مسألة: فإن قال: أخبرني عن معرفته سبحانه لنفسه أهي هو أم هي غيره؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أيها السائل أن معرفة الله لنفسه هي هو.

[هل خلق الله الأشياء من شيء أم لا]

مسألة: فإن سأل فقال: أخبرني عن الله سبحانه أخلق الأشياء من شيء أم من غير شيء؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أنه سبحانه خلق الأشياء من غير شيء، واخترعها اختراعاً من غير بدء.

فإن قال: وما أنكرت من أن يكون خلقها من شيء قديم لم يزل فنقله إلى الحدث حتى أبان فيه صنعه، من غير أن يكون اخترعه.

قيل له ولا قوة إلا بالله: قولك هذا فاسد محال، لأنه لا يخلو من أن يكون نقله كله، أو نقل بعضه، أو لم ينقل منه كلاً ولا بعضاً.

فإن قلت: لم ينقل كله ولا بعضه، نفيت ما عنه سألت وجحدت.

فإن قلت: بل نقل كله أو بعضه أوجبت بأبين البيان حدوثه، ونفيت أزله وقدمه، لأنا قد بينا حدث الكل والبعض فيما تقدم من كلامنا، وأوضحناه في أول كتابنا، وإذا صح أن الأصل كل أو بعض، صح أن ذلك لا يكون إلا جسماً، وقد تقدم من قولنا أن الأجسام محدثة، وإذا كانت أصول الأشياء محدثة ، فقد فسد قولك من نقلها واصطناعها، وصح قولنا في اختراعها، وإحداث أصولها وابتداعها.

[هل يقدر الله على الظلم وإخلاف الوعيد]

مسألة: فإن قال: أيقدر الله أن يظلم عبيده، ويخلف وعده ووعيده؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: نعم هو قادر على ما سألت، وغير عاجز عما ذكرت، وليس كلما قدر عليه الحكيم فعله، لأنا نجد الحكيم منا مع حاجته لا يفعل القبيح لذمامته، فكيف بالحكيم الغني، لأن الفاعل لا يفعل فعلاً إلا لحاجة تدعوه إلى منفعة أو دفع مضرة، والله لا يحتاج إلى اجتلاب المنافع، ولا إلى دفع المضار والفجائع، فتبارك الله وتعالى عن ظلم عبيده، وإخلاف وعده ووعيده، وأيضاً فقد يكون الكذب والسفه والعبث من الظالمين، لغير حاجة تدعوهم إلى ظلم المظلومين.

[هل يجوز على الله العبث]

فإن قال بعض الملحدين: فما تنكر أن يعبث الله تعالى سيدنا من قول الملحدين؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: إن عبثهم هذا الذي ذكرنا وجورهم لغير حاجة فيما قدمنا، إنما يدعوهم إليه النظر والهوى، والله تعالى عن ذلك لا ينظر ولا يهوى؛ لأن الهوى داع إلى كل منكر، ومنه تولد الظلم والبطر، والهوى فهو ضمير وخاطر، والله يتعالى عن الخواطر، لأنها شهوات لا توجد إلا في القلوب، وما يتعالى عنه علام الغيوب، وقد تقدم كلامنا في الجزء الأول من نفي الخواطر عن رب العالمين، وتبيين حدوث ذلك في المخلوقين.

[هل يحب الله نفسه، وبيان معنى الحب والبغض في حق الله]

مسألة: وإن سأل فقال: هل يحب الله نفسه أو بعضها؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: كلامك هذا باطل محال، لا يجوز على الله لأنه غني عن الحب والبغض، لأن الحب يخرج على وجهين، وكذلك البغض، فمن الحب ما يكون ضميراً، أو نية وشهوة في القلوب مبنية، وهذا من صفات المخلوقين ، المحتاجين إلى محبة أنفسهم، المجبولين على فطرة شهواتهم.

وأما الوجه الثاني: فهو حب الله لأوليائه المؤمنين، وهو ثوابه ونعمته للمطيعين، والله غني عنه وغير محتاج إليه، لأن المحتاج إلى الرزق لا يكون إلا مبنياً على الحاجة إليه، والله

يتعالى عن الحاجة إلى الأرزاق، واجتلاب النعم والأرفاق، لأن الذي يرزق ويغتـــذي، لا يكون إلا مضطراً غير غني، ومن كان مضطراً فهو فقير إلى اللذات، مبني على الحاجة إلى الشهوات، والملتذ لا يكون إلا جسماً مجتمعاً متحركاً أو ساكناً، وقد بينا حدث الجســم فيما تقدم من كلامنا.

والبغض يخرج على وجهين فمن ذلك بغض الآدميين وإضمار كراهة ما يكرهون والله يتعالى عن شبه المخلوقين.

والوجه الثاني: فهو بغض الله الكافرين، وهو أليم عذابه ونكاله للفاسقين، والله ليس بذي جسم فتحله الآلام، ولا بذي جسد فتعلقه الأسقام، بل هو رب العالمين، وفـــاطر السماوات والأرضين، فتبارك وتعالى عما يقول الظالمون، وتقدس عما يتفوه به الجاهلون، وتنزه عما يقول المفترون.

[هل يكرم الله نفسه]

مسألة: وكذلك إن سأل فقال: أيكرم الله نفسه أم يهينها؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: من المسألة ما هو من المحال، ومنها ما يليق بالله ذي الجلال؛ لأن الكرامة على **وجهين:** كرامة تنزيه عن الظلم والعدوان، وذلك أولى ما وصـــف بـــه الرحمن، فهو يكرم نفسه عن ذلك جل جلاله، وكَرُمَت عن الجور والدناءة أفعاله.

والوجه الثاني: فكرامة النعيم، وما يتعالى عنه الواحد القديم، وهذه الكرامة فتستحيل عن الله الرحمن الرحيم.

وكذلك الهوان على وجهين يستحيلان عن الرحمن، **فوجه:** هوان دناءة الأفعال والجور والسفه في الأعمال، وذلك منفي عن الله ذي الجلال.

والوجه الثاني: فهوان العذاب الأليم ، وما جعله الله ضد الرحمة والنعيم، وهـــو ممـــا يستحيل على الخلاق العليم، لأن الألم لا يحل إلا في الأجسام، وذلك فيتعـــالى عنـــه ذو الجلال والإكرام.

[هل يقدر الله على تعليم بعض خلقه جميع علمه]

مسألة: وكذلك إن سأل فقال: هل يقدر الله أن يعلم بعض خلقه جميع معلوماته؛ فإن قلتم: يقدر فقد صار غيره في العلم مثله، وإن قلتم لا يقدر عجّزتموه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: هذه مسألة متناقضة لأنك قلت: هل يقدر أن يعَلِّم بعض خلقه جميع ما يَعْلَمه، فجعلت لمعلومه جميعاً والجميع يتناهى، ومعلوم الله لا يتناهى ولا يحد، ولا يحصى أبداً ولا يعد، فالنقض لمسألتك أتى من عندك لما في مسألتك من تناقض قولك، ألا ترى أن الله من معلوم نفسه وليس له جميع فيكون محدوداً، وليس بعدد فيكون معدوداً، فكيف تريد أن يُعَلِّم خلقه نفسه، ونفسه تُعْلَم ولا تُدرك بغير الأدلة، ولا تُفهم لأنها نفس ليست من الكل والأبعاض، ولا من الأجسام والأعراض، وسؤالك فإنما هو عن كل المعلومات، والكل فلا يصح إلا من المصنوعات.

[بيان عدم جواز ما تقدم من المسائل على الله تعالى]

مسألة: فإن سأل فقال: أخبروني لم زعمتم أن هذه المسائل تستحيل ، ولا تجوز أن يوصف بها الواحد الجليل؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: إنما استحالت هذه المسائل لتناقضها، وتكاذبها في المقال وتداحضها، لأنك أيها السائل تسأل عن الله الجليل، ثم تنقض بالقول المستحيل، وتشبه الله بالعبد الذليل، مثل قولك: هل يقدر أن يفني نفسه فجعلته ثلاثة، وإنما هو الواحد الأحد القديم، العظيم الفرد الصمد، فكأنك سألت عن مخلوق وأنت تحسبه خالقاً ، وسألت عن ثلاثة وأنت تحسبها واحداً ؛ لأن الْمُفْنِي هو الفاعل ، والْمُفْنَى هو المفعول ، والفعل هو الثالث المجعول المتوسط بين القابل والمقبول.

تم كتاب التناهي والتحديد من كلام الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وهو آخر كتاب المعجز وحسبي الله وكفى ونعم الوكيل.

تم الكتاب بحمد الله ومنه ولطفه وله الحمد كثيراً بكرة وأصيلا وذلك يوم الاثنين خامس شهر جمادى الأول / سنة سبعة وستين من بعد الألف بعناية سيدي مولاي عز

الدين محمد بن الحسن بن أمير المؤمنين -حفظه الله تعالى-.

* * * * * *



كتاب الفرق بين الأفعال[1]

والرد على الكفرة الضلال، أصحاب الطبائع الملحدين الأنذال الأوباش الجهّال، أهل التكمّه في الشك والمحال.

من كلام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي العياني صلوات الله عليه وعلى آبائه الكرام، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وبه نستعين:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى أهل بيته الطاهرين، الأخيار الأبرار الصادقين، ونسأل الله التوفيق لما قصدنا من الإحسان، ونعوذ به من الضلالة والجهل والخذلان.

وأشهد أنه لا إله إلا الله الحق اليقين ، الواحد الأحد الصمد المبين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصفوته ووليه وخليله، بعثه بالحق هادياً إلى الرشاد، وداعياً إلى رحمة الله لجميع العباد، وزاجراً عن الجهل والغي والفساد؛ فاجتهد صلوات الله عليه غاية الإجتهاد، وأنذر جميع من حوته أقطار البلاد، حتى أتاه ما وعد الله من اليقين، بعد أن أوضح به سبل حقائق الدين، فصلوات الله عليه وعلى ذريته الصادقين، والحمد لله رب العالمين.

فلما قبضه الله إليه، واختار له من الثواب ما لديه، علم أن سيكون من عباده من يحتاج إلى الهدى، وكشف الضلالة عنهم والردى، بذوي الدين والفضل والحجى، ذرية الرسول أئمة الهدى، وأعلام الدين ومصابيح الدجا، فكشف بهم أغطية الضلال، وقمع بهم من عاند الحق من الجهال، وأهل الحيرة الكفرة الضلال، فمن طلب الحق عند غيرهم فقد جهل، ومن عاندهم فقد ضل وخذل، لأن الله لو علم أن العباد يكتفون بعقولهم لما فرض سؤال آل نبيه -عليهم السلام- فمن رام أن يكتفي عنهم بعقله، فقد وقع في ضلالته

---

[1] - هذا الكتاب من النسخة (ج) زيادة .